المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده وأستعينه وأعوذ به – سبحانه – من ضلال الرأي، وفساد القول، وسوء الظن، وأصلي وأسلِّم على خير البرية، ومعلم الإنسانية محمد بن عبد الله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد..

إن نزار قباني من فحول الشعراء الغزليين في العصر الحديث و هو مبدع لغة شعرية جديدة لاتحتاج إلى القاموس و هي قريبة عن لغة الناس و ليس فيها تعقيد لفظي أو معنوي و هو أول شاعر مبدع سبّب تطوّراً أساسياً في حركة الشعر و لم يعدهذا التغيير يشمل لغة القصيدة و شكلها فحسب ، إنهيحتوي مضمون القصيدة أيضاً. الغزل هو الموضوع الرئيسي لشعر نزار و كما نعلم أن الغزل، في جميع الأغراض الأدبية ، له الأكثر ارتباطاً بحياة الرجل و المرأة و قد يكون الغزل أشهرها وأقربها إلى قلوب الناس وأشعار نزار الغزلية لها خصائص لغوية خاصة مثل الصراحة في التعبير و السهولة في الفهم و صوره البديعة و هذا الأمريتيح الفرصة لنا لندرسها على أساسالأسلوبية وكما نعلم أن الأسلوبية هي منهج نقدي ، أدبي ، لغوي و حديث التسمية تتناول دراسة النصوص الأدبية من خلال النص ذاته و هي منهج يتميّز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب واختيار غزل نزار قباني دراسة أسلوبية على المستوى اللغوي موضوعاً للدراسة يرجع إلى باعث رئيسي هو خصوصية هذه اللغة الشعرية حيث ما وجدنا من دراسات حول الشاعرتشمل هذا الجانب.

و أمّا هدف الرسالة فهو متمثل في مفردات العنوان و ليس إلا استكشاف الخصائص اللغوية في أشعار نزار الغزلية لا سيما في مجموعتي الرسم بالكلمات و هكذا أكتب تاريخ النساء .

تُستَهلُّ الرسالة بمقدمة و بابين وتذيّل بخاتمة ؛ بحيث جعلنا لكل فصلٍ مدخلاً بمثابة مهادٍ نظري .الباب الأول في القضايا العامة ، و يتشكل من ثلاثة فصول : أمّا الفصل الأول وعنوانه (نزار قباني سيرته الشخصية و الأدبية) فنوضّح فيه دراسته و آراءه حول الشعر و كذلك نتكلم عن عمله الدبلوماسي الذي شمل أسفاره إليالبلاد

المختلفة و تأثير هذه الأسفار في لغته الشعرية وأمّا الفصل الثاني وعنوانه (الغزل و تطوره من الجاهلية إلى العصر الحديث) فنتكلم في هذا الفصل عن الغزل و تعريفه لغةو اصطلاحاً و بعدتعريفه نتكلم عن تطوره في العصور المختلفة – من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث –و نعرض بايجاز أوجه المقابلة بين الشعراء الغزليين في تلك العصور و كذلك نتكلم عن دواعي الغزل عند نزار قباني .

و الفصل الثالث يدور حول الأسلوب و الأسلوبية وتعريف أهم اتجاهاتها منها الأسلوبية التعبيرية و الأسلوبية النفسية و الأسلوبية البنيوية ففيه نكثر من الكلام حول الأسلوبية البنيوية لأنها هي المعيار الرئيسي لبحثنا هذا . و أمّا الباب الثاني و عنوانه (الخصائص الأسلوبية في مجموعتي الرسم بالكلمات وهكذا أكتب تاريخ النساء) فينقسم إلى خمسة فصول :

الفصل الأول وعنوانه (الموسيقى في شعر نزار قباني) فقد درسناه في محورين : أولهما تمثل فيمااصطلح عليه بـ (الموسيقى الخارجية) حيث قمنا بدراسة هذا النوع من الموسيقى في شعرنزار من خلال وصف البحور التي استخدمها الشاعركذلك خصائص هذهالبحور ذاتها ثم تطرقنا إلى مسألة استخدامه لها تامة و مجزوءة ثم وقفنا بعد ذلك على (القوافي) فتناولنا أنواعها من حيث التقييد والإطلاق وحظ الأصوات العربية من الاستعمال رويّاًومظاهر القافية العامة في شعر ه و كذلك قمنا بدراسة هذا النوع من الموسيقى في أشعاره الحرة وفيها درسنا جملة التحولات الإيقاعية للشعر الحديث من حيث: توزيع التفعيلات، والتدوير (الالتفاف)، والقافيةو الروي.

وأمّا المحور الثاني فخصصناه لدراسة مااصطلح عليه بـ (الموسيقى الداخلية) حيث درسناهذا اللون من الموسيقيمن خلال محور التكرار، وهو الغالب عند نزار قباني حيث نراه ذلك عيّنة أسلوبية و كذلك تكلمنا عن المحسنات البديعية و منها الجناس و الطباق و تنسيق الصفات و التناغم و الانسجام .

ويقوم الفصل الثاني على دراسة المستوى الدلالي بحيث ندرس إمكانيات اللغة عند الشاعر من خلال المعجم اللغوي و ندرس تجلياته في خطاب نزار قباني . أمّا في الحقول الدلالية فقد شملتثلاثة حقول دلالية هي : (حقل الحب و حقل الألفاظ التي تتعلق بجسد المرأة لاسيما النهد و حقل الألوان) .

ويحتوي الفصل الثالث على دراسة تشكيل الصورة الشعرية من خلال مبحثين:

- التشبيه و أبعاده الجمالية .

- الاستعارة و أبعادها الجمالية.

أمّا الفصل الرابع فعنوانه (الانزياح ظاهرة أسلوبية) و فيه نتكلم عن مفهوم الانزياح في الأدب و في علم الأسلوب و بعده نتكلم عن أنماط الانزياح في شعره منها (الانزياح الدلالي ، النحوي ، الصرفي والأسلوبي) باعتبارها أهم و أجلى مظاهر الانزياحفي شعر نزارقباني .

و في الفصل الخامس نتكلم عن النرجسية من المنظورالأسلوبي في هاتين المجموعتين حيث نعرّف النرجسيةفي اللغة و الاصطلاح و بعد تعريفهما نتكلم عن أسباب وجود النزعةالنرجسيةفي نزارقباني و بعدها نستكشف مظاهر النرجسيةفي شعره.

وينتهي البحث إلى خاتمة تشتملأهم النتائج التي توصلنا إليها .

و في النهاية لا يسعني إلا أن أتقدم بفائق الشكر والتقدير إلى الأستاذ العالم الفاضل الدكتور مرامي الذي تقبل الإشراف على رسالتي ولما بذله من جهدٍ لي وما قدمه من ملاحظات علمية دقيقة لإخراج هذه الرسالة، و أعرب عن وافر شكري للأستاذ العالم الجليل الدكتور ميرحاجي الذي كان المشرف المساعد على رسالتي ولم يأل جهداً في توجيهي وإرشادي كما أشكرالأساتذة الأفاضل في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة العلامة الطباطبائي.

أخيراً ...

أرجو أن أكون قد وُفِّقتُ في عرض بحثي وطرحه على النحو المطلوب، فإن كنت قد وُفقت فمن الله - تعالى - الفضل والمنَّة، وإن كنت قد قصَرت فمن نفسي، وحسبي أني سعيت واجتهدت و بذلت قصارى جهدي في إثراء هذه الرسالة و الحمد لله رب العالمين.

جواد محمدزاده

تاريخ : ١٣٩٠

الباب الأول :

القضايا العامة

الفصل الأول :

نزار قباني سيرته الشخصية و الأدبية

نزار قباني هو أحد من الشعراء الأفذاذ و له صيت في المشرق وقد أصبح نجماً في سماء العلم و الأدب فهورغم مضي الزمن فمازال في ذروة الرفعة و العظمة إلى يومنا هذا .استطاع نزار قباني و هوشاعر رومنطيقي ان يتمتع من حسن القبول و الشهرة الكثيرة طيلة حياته في العالم العربي و الفن واقتحم في ساحة الأدب اقتحاماً كثيراً لابد لمنتقديه أن يقبلوا هذا الواقع أن نزار قباني شاعر كبير لا نظير له.

وهو شاعرحظى بشهرة بالغة في الشعر العربي المعاصر حيث بلغ منتهاه، لانّه منذ البداية، اهتمّ بالقضايا الّتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع. إنّ شخصيته ومايتمتع به من ثقافة أدبية وفكرية وموهبة خلّاقة،هي الّتي جعلت شعره في مستوى عالٍ من اهتمام وشهرة، حيث راح شعره يدخل بيوت الناس من أبوابها ونوافذها كالشمس .

مولده و أسرته

ولد نزارتوفيق قباني في٢١آذار (مارس) ١٩٢٣ في حي دمشقي قديم في مأذنة الشحم لأب وأم دمشقيين ويقول نزارفي وصف ولادته « يوم ولدت في ٢١ آذار (مارس) ١٩٢٣ في بيت من بيوت دمشق القديمة ، كانت الأرض هي الأخرى في حالة الولادة .. و كان الربيع يستعد لفتح حقائبه الخضراء .» [١]

فولدفي شهر الخير و البركة هو الربيع ، أمّا والده توفيق قباني فكان يعمل في التجارة ، وله محل حلويات ، وكان كغيره من البارزين في دعم الثورة ضد المحتلين ، وقدأسهمت هذه الروحية في شخصية نزار، يقول عن والده : « إذا أردت تصنيف أبي أصنفه دون تردد بين الكادحين ؛ لأنه أنفق خمسين عاماً من عمره يستنشق روائح الفحم الحجري »[٢]

حاول نزارجاهداً أن يجعل من والده رمزاً وبطلاً مع أن بعض الباحثين اتهموه بالمبالغة وخلق تلك الشخصية ليعطي سيرته الذاتية نكهةً وطنيةً وليس الأمرعجيباً أن يكون والد نزارقد دخل في باب النضال والعمل الجماهيري في مقارعة الاحتلال ، إذ قد يكون العجيب أن يكون غير ذلك في عدم المشاركة في العمل النضالي ، في ظروف الثورة ، خاصة وأن نزاراً كان من أسرة حافظة على التقاليد ، ولاسيما أنه نشأ في حي دمشقي مشهور بالصلابة

١قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص ٢٠٨

٢م . ن ،ص ٢١١

والتحدي للمستعمرين، وقدسجن والده على أيدي الجنود السنغال في سجن تدمر الصحراوي ، وقدأثّر ذلك في نفس الشاعر بفخرواعتزاز؛ إذوجد في عمل والده عملاً ثورياً ، دفعه إلى التمرد والخروج على القانون .[1]

إن أسرة قباني من الأسرات الأصيلة في دمشق و من أبرز أعضائه ابوخليل قباني (١٩٠٢ – ١٨٣٦) عم أبيه و الذي قدأحدث ثورة أدبية قبل نزار في سوريا ، إذ كان من أوائل رواد المسرح العربي، وقدطرد من سوريا بسبب هذه الأحداث الجديدة في الحياة الدمشقية ، وبقي مصرّاً على عمله بعد ذهابه إلى مصر، فيعدّ من مؤسسي المسرح العربي الأوائل، وقد وصفه نزاربأنه شهيد حيث يقول « إن انتفاض الرجعيةعلى أبي خليل ، هوأول حادث استشهاد فني في تاريخ أسرتنا ، وحين أفكرفي جراح أبي خليل ، وفي الصليب الذي حمله على كتفيه ، وفي ألوف المساميرالمغروزة في لحمه، تبدوجراحي تافهة ، وصليبي صغيراً ... »[2]

كان أبوه " توفيق قباني " من أبرز رجال ثورة سورية ضد الفرنسيين و كان يمتهن صناعة الحلويات ، وكان ميسور الحال، وقد ساهم في بعض الاجتماعات التي كانت تُعقد في منزله لمقاومة الاحتلال الفرنسي، ونزار يذكر أنه في الثلاثينات رأى عساكر السنغال يدخلون في ساعات الفجر الأولى للمنزل بالبنادق والحراب ، ويأخذون والده معهم في سيارة مصفحة إلى معتقل (تدمر) الصحراوي .كان نزار يرى في أبيه ازدواجية تركت أثراً في شخصيته مابين الحلاوة والضراوة ، و هذه الازدواجية لها دور بارز في شعره ويقول إن أباه كان ناراً وماء إنه أخذ عنه هذه الصفةالمتطرفة.[3]

أنجب توفيق قباني ستة من الأبناء هم : نزار ، رشيد ، هدباء ، معتز ، صباح و وصال التي ماتت في أوان الشباب . في الحقيقة إن نزار قباني سلك في الشعر مسلك ابي خليل لقد شغف نزار قباني بجمال المرأة وافتُتن به ، وكانت قصائده اندفاعة نحوه .

أمّاأم نزار فكانت تحبه كثيراً وتخصه في المحبة ، فوصفهافي أحدى قصائده (الحب) « أمّا أمي فكانت ينبوع عاطفة يعطي بغيرحساب، كانت تعتبرني ولدها المفضل وتخصني دون سائر إخوتي بالطيّبات ، وتلبي مطالبي الطفولية

---

١ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص ٢١٩

٢ م . ن ، ص ٢٢١

٣ م . ن ،ص ٢١٠

بلاشكوى ولاتذمّر» [1]

كان الشاعرمعها يشعر بالأمن والحنان ، حتى أصبح شاباً ، وقيل إنها أرضعته حتى بلغ السابعة « لقد كبرتُ و ظللتُ في عينيها دائماً طفلها الضعيف القاصر ، ظلَّت ترضعني حتى سن السابعة ، و تطعمني بيدها حتى الثالثة عشرة »[2] وربما يفسرذلك كثرة ذكر الشاعرللنهد وإصراره عليه فيشعره وكان نزارسعيداً مع كل هذا الحنان والدفء بل حاول أن يجعل في كثيرمن صورالحبيبة تعامله معاملة الأم لطفلها.[3]

ومابين قوة الشخصية لدى الأب والحنان والدفء في أحضان الأم كان نزار يتنقل ، إلا أنه يعترف أن أثر والده عليه كان أكثر، فيلخص الشاعر تلك العلاقة والتمايز بينهما بأن والده كان ناراً وأمه كانت ماء ، ففضل لهيب النارعلى رقة الماء وعذوبته[4]

الزواج و الطلاق

تزوج نزار بعد سنوات من انتسابه إلى السلك الدبلوماسي السورية بقريبة له هي « زهراء آقبيق » و هي ابنة عمه و له منها ولد و بنت « ابنه توفيق و ابنته هدباء » و انتهت حياته معها بأكره الحلال عند الله و هو الطلاق . [5]

توفي الولد و هو شاب في مقتبل العمر بمرض القلب و عمره سبعة عشرعاماً فرثاه في قصيدة شهيرة عنوانها (إلى الامير االدمشقي توفيق قباني) :

فكيف يغني المغنّي ؟ وقد ملأ الدمع كل الدواة ..
و ماذا سأكتب يا ابني ؟ و موتك ألغى جميع اللغات [6].

ثم اقترن بسيدة عراقية ، و هي " بلقيس الراوي " التي شغف الشاعر بها و عاشت معه حتى وفاتها في حادث

---

١ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص ٢٥٥

٢ م . ن

٣نجم ، خريستو : النرجسية في أدب نزار قباني ، ص ٤٨

٤ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص٢٥٦

٥الهواري ، صلاح الدين : المرأة في شعر نزار قباني ، ص ١٥

٦ قباني ، نزار : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٤٥٩

انفجار السفارة العراقية في بيروت سنة ١٩٨١ و كانت قد أنجبت له ولديه « عمر وزينب »[١]

سأُقول في التحقيق :

كيف أميرتي اغتصبت

وكيف تقاسموا فَيروزعينيها

وخاتم عرسها..

وأقوُل كيف تقاسموا الشعرالذي

يجري كأنهارِالذَّهب..

سأُقوُل كيف استنزفُوا دمها..

وكيف استملَكوا فَمها..

فماترُكوا به وردًا ..ولاترُكوا عنب

هل موت بلقيسٍ...

هوالنصرالوحيد

بكلّ تاريخِ العرب؟؟...[٢]

لقد تلقى نزار عدة صدمات قوية في حياته الخاصة ، منها رحيل والدته و هو طفلها المدلل و انتحار أخته وصال التي زوّجوها برجلٍ لا تحبه ، و مصرع ولده الشاب توفيق و رحيل زوجته الأولى ابنة عمه و مقتل زوجته الثانية بلقيس و في النهاية انطفأ المصباح المشع الذي كان ينير دنيا الشعر العربي و فسحة الجمال في العالم العربي بنوره الذي لا يضاهيه نور و توفي في الثلاثين من شهر نيسان ١٩٩٨ م ، و « انتقل جسمانه إلى دمشق حيث دفن في مسقط رأسه إلى جوار ابنه توفيق و زوجه بلقيس و والده توفيق قباني و والدته ، فلم شملهم الموت ، بعدأن بعثرتهم

١الهواري ، صلاح الدين : المرأة في شعر نزار قباني ، ص ١٥

٢قباني ، نزار : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٨٨٥

مآسي الحياة و تصاريفها »[1]

دراسته

بدأ نزار حياته الدراسية في دمشق وكانت مدرسته الأولى هي الكلية العلميةالوطنية في دمشق، دخلها في السابعة من عمره ، وتخرج فيها في الثامنة عشرة ، وهويحمل شهادة البكالوريا الأولى (القسم الأدبي) ومنهاانتقل إلى مدرسة التجهيز حيث حصل على شهادة البكالوريا الثانية قسم الفلسفة عام ١٩٤٠ [2] وحصل على شهادة الحقوق من جامعة دمشق إلا أنه لم يمارس المحاماة [3] وقد أتقن ثلاث لغات الفرنسية والإنجليزية بالإضافة إلى لغته الأم العربيةالتي أتقنها ، وأبدع فيها أجمل أشعاره ، والتحق بعد أن أنهى تعليمه الجامعي بوزارة الخارجية السورية ، وشغل عدداً من المناصب الدبلوماسية في القاهرة ، وأنقرة ،ولندن ،ومدريد ،وبكين ،وبيروت ، واستقال من العمل الدبلوماسي في ربيع عام ١٩٦٦ ، وأسس داراً للنشرباسمه متفرغا للشعر [4]

أمّاأمسياته الشعريةالتي كان يقدمها في كل المدائن فتُعدّ من الظواهرالثقافية النادرة ، فأصدر ٤٥ مجموعة شعريةبدءاً من مجموعته الأولى (قالت لي السمراء) ومن أهم قصائده التي أحدثت غضباً كبيراً هي" خبزوحشيش وقمر"أمّا القصيدة الثانية التي كان لها صدى سياسي على الصعيد القومي فهي" هوامش على دفترالنكسة"التي نظمها عام ١٩٦٧ ،في أعقاب الحرب . [5]

الشعر عند نزار و آثاره

عندما نتكلم عن نزار قباني بوصفه شاعراً ، يجب علينا أن نتكلم حول أشعاره إمّا في بداياته و إمّا في نهاياته . تعلم نزار قباني الشعر عند خليل مردم بك حيث يقول : « فإن خليل كان له الفضل العظيم في زرع وردة الشعر تحت

١العرود ، على احمد محمد : جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث ، ص ١٥

٢م . ن ،ص٢٢٢

٣الحاوي،إيليا :الشعر العربي المعاصر ، نزارقباني شاعر المرأة ،ص٣

٤الهواري ، صلاح الدين : المرأة في شعر نزار قباني ، ص ١٥

٥فاضل ، جهاد :نزارقباني الوجه الآخر،ص٥٦

جلدي .. و في تهيئة الخمائر التي كوّنت خلاياي و أنسجتي الشعرية »[1]واستطاعأن يصل إلى المهارة و الحذاقة في هذا الفن بقراءةآثار الشعراء الآخرين و تأثر تأثراً شديداً ببعض الشعراء مثل : امين نخله ، بشارة خوري ، إلياس أبي شبكه و سعيد عقل و أدركبقراءة آثارهم أن يخرج من البحور الشعرية.[2]

كان الشعر عند نزار من أحد الأعمال اليومية التي عليه إدراجه في برنامجه اليومي مثل النوم و التغذية و الهواية لهذا نرى أن شعره لم يختص بطبقة خاصة . إن نزار قباني أسس أوسع جمهورية دموقراطية و هي كانت جمهورية الشعر.يعتقد نزار قباني أن الشعر له مفاتيح و مفاتيح الشعر عنده ثلاثة : الطفولة و الثورة و الجنون . الطفولة في رؤية نزار قباني تعني كل ما هو براءة و مكاشفة و تلقائية والثورة تعني أحداث خلخلة و تشقق و كسور في كل الموروثات الثقافية و النفسية و التاريخية التي أخذت شكل العادة أو شكل القانون .

أمّا الجنون في رؤية نزار قباني فيعني تفكيك ساعة العقل القديمة و الاعتراض العنيف على كل الأحكام القراقوشية الصادرة علينا قبل ولادتنا ..[3]

أمّا آثاره الشعرية فلنزار قبانى آثار كثيرة في الشعر و في النثر،بدأ نزار قبانى بكتابة الشعر فحين كانت طيورالنورس تلمس الزبد الأبيض عن أقدام السفينة المبحرة من بيروت إلى إيطاليا في صيف عام ١٩٣٩ ، دمدم نزارقباني أول كلماته من أول بيت شعرله ، وكان حينذلك في السادسةعشرة من عمره [4]

في عام ١٩٤٤ كانت الثورة الشعرية الحقيقية لنزار « و في جوّ هذه الانكشارية الشعرية نشرت مجموعتي الشعرية الأولى (قالت لي السمراء) في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤ »[5]وكان حينئذ طالباً في كليةالحقوق ،وقدطبع ديوانه الأول ، ورغم الاعتراض القاسي الذي واجهه نزار وديوانه ، فقد بيعت جميع نسخه ، وأهم الاعتراضات التي وجهت إلى هذا الديوان ماكتبه الشيخ علي الطنطاوي ، وعدّ هذا الديوان مساسا بالدين والعادات والتقاليد ،

---

١ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص٢٢٨

٢ م . ن ، ص٢٢٩

٣ م . ن ، ص٢٦٢

٤ م . ن ، ص٢٤٤

٥ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص ٢٦٩

وكلماكتب من شعر.[1]

عام ١٩٤٨ كان نزار يحمل في جعبته ديوان شعر جديد اسمه خارج عن المألوف في العالم الكتاب و هو « طفولة نهد » . و كانت صياغته الشعرية غير مألوفة في ذلك الزمن « طفولة نهد كان نقلة حضارية هامة بالنسبة إلى شعري. فلقد صقلت القاهرة أحاسيسي و عيني و لغتي الشعرية و حرّرتني من الغبار الصحراوي المتراكم فوق جلدي »[2]

عام ١٩٤٩ أصدر كتيباً شعرياً بعنوان «سامبا» وهى قصيدة طويلة تصف الرقصة التى شاعت فى عصره و هى رقصة مشبوقة من ظاهر حركات الرقاصين. عام١٩٥٠ أصدر مجموعة اخرى دعاها«انت لى».[3]أمّا ديوانه الرسم بالكلمات صدره حين كانت إقامته في الأندلس و ارتبط هذا الديوان ارتباطاً كثيراً بالعشق .

تعتبر هذه الدواوين ، الدواوين الأولى لنزار قباني و لقد كان الشاعر فيها يبحث عن الحب و الرجاء و يمنح النفس الترف و كان يدعو القراء إلى الحب .

فى أواخر عام ١٩٥٦ كتب أفضل أعماله الشعرية و أكثرها ارتباطاً بالإنسان و هو ديوان القصائد و يقصد نزار بأفضل أعماله الشعرية و أكثرها ارتباطاً بالإنسان في هذا الديوان قصيدتين هما « الخبز و حشيش و قمر » و « قصة راشيل شوارز نبرغ » التى دوت فى العالم العربى لتعرُّضها لبعض الوقائع الدينية [4] ففيه رجوع قوي إلى الطبيعة بعد أن عاش طويلاً في أجواء المدينة في دواوينه السابقة ، وهو يدمج الحب بالجوالريفي ويتغلغل إلى الجزئيات في كليهما ، فإذا بالغناء يشبه انطلاقاً لموال في المروج وإذا بالحياة لدينا ترفرف في مختلف مظاهرالطبيعة ، وتجمعها في كل نسق إطاره عاطفةالإنسان وإحساسه[5]. هذه القصائد ذات المناظرالرعوية والعواطف الشفافة والموسيقى الناعمة العذبة يمكن أن نسميها" الرعائيات الغنائية" وتتصف بغلبة العنصرالموسيقى عليها ..[6]

١قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص ٢٧٠

٢م . ن ، ص ٢٨٦

٣الحاوي ، ايليا : نزار قباني ، ص ٤ و ٥

٤م . ن ، ص ٤ و ٥

٥صبحي،محييالدين:نزارقبانيشاعروإنسان،ص ٨٨

٦م . ن ص ٨٩

ومن شعرالغزل والمرأة عندنزارننتقل إلى شعرالسياسة ، فقد كتب نزار قباني الشعر صغيراً وقدكانت بداياته بموضوعات تخص الدخول في الكثير من الجزيئات التي تتعلق بالمرأة وربما كان له أسبابه في هذا... لكن بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ أخذ نزار قباني يتجه في شعره الى منحى ثانٍ ، فخرج الينا يلبس حلة جديدة التزم فيها قضايا أمته العربية وهمومها التي اثرت فيه فاستطاع بابداعه الكبير أن يطرح مشكلات المواطن العربي وهمومه وطموحه إلى الخلاص من الاستعمار وقلما نجد مدينة عربية لم يكتب فيها شعراً جميلاً فيهاجم نزارقباني القراء الذين أنكروا شعره الغزلي وهاجموه فهو يحاول أن يثبت لهم براءته و يعترف أن المصائب التي حلت بالوطن العربي حولته من شاعر عربي الى شاعر ثائر يكتب بدمه.[١]

يقول في (هوامش على دفتر النكسة):

يا وطني الحزين

حولتني بلحظة

من شاعريكتب الحب والحنين

لشاعر يكتب بالسكين .[٢]

كان نزارقباني شاهداً على كثيرمن الأحداث التي حلت بالوطن العربي فهو يعترف بالهزيمة في نكسة ١٩٦٧ لأننا لم نكن جاهزين للحرب ولأننا لم نعد العدة فالحرب تحتاج الى عزيمة واصرار لا أن ندافع عن حقوقنا بالهتافات والصراخ يقول :

إذا خسرنا الحرب ، لاغرابة

لأننا ندخلها

بكل ما يملكه الشرقيُّ من مواهب الخطابة

بالعنتريات التي ما قتلت دبابة

---

[١] www.urrnina.com

[٢] قباني ، نزار : الأعمال السياسية الكاملة ، ص ٤١٧

لأنناندخلها

بمنطق الطبلة والربابة .[1]

إن نزاراً كان صوت امّته وسوطها، فاذا انتقدها ، يحثّ على النهوض والسير إلى الأمام لانّه شاعر محب لوطنه شديد الحب، وراح يطرح مشاكل وطنه على الورق من غير تكلّف ولا أقنعة ولا زيف.

لقدتحدث نزارقباني في شعره عن المرأة الأم والمرأة الحبيبة،والمرأة البغي، أمّا المرأة الأم فإنه « يصرح بأن علاقته بالنساءكانت محكومةبأمه التي غمرته بحنانهاطفلاًوشاباً، ويرى أن فشله في كثيرمن علاقاته العاطفية كان يعود بالدرجة الأولى إلى رفض المرأة المحبوبة أن تجمع في شخصيتها الأم والحبيبة في آن » [2]و « لعل أهم ماوقعناعليه من شعر نزاربأمه تلك القصيدة التي كتبهاعندماجاءه خبرموتهاوهومقيم في بيروت وكانت بعنوان" أم المعتز" » [3]يقول في مطلعها :

عندما كانت بيروتُ تموتُ بين ذراعيَّ

كسمكةٍ اخترقها رُمح

جاءني هاتف من دمشق يقول :

" أمّك ماتت " .[4]

و كمالعبت أمه دوراً أساسياً في شعره و في حياته فإن للزوجة دوراً أوسع في شعره و قصيدة بلقيس التي نشرت مستقلةفي ١٩٨٢ أي بعدعام واحد من وفاة زوجته الثانية بلقيس الراوي بحادث انفجارالسفارةالعراقية في بيروت سنة ١٩٨١ ، هي خير وثيقة لتصوير صورة المرأة " الزوجة " حيث يقول :

١قباني ، نزار : الأعمال السياسية الكاملة ، ص ٤١٨

٢الهواري ، صلاح الدين : المرأة في شعر نزار قباني ، ص٤٥

٣م . ن ، ص ٤٦

٤قباني ، نزار : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٦٠٧

بلقيس

كانت أجمل الملكات في بابل

بلقيس

كانت أطول النخلات في أرض العراق [1]

ثمةامرأة أخرى من نوع مختلف شغلت حيزاً من قصائدنزارهي المرأة البغي الساقطة و إن المتصفح لشعر نزار يجد بعض القصائد التي تتناول البغيّ صراحة و بعضها الآخر يعكس الممارسة الجنسية بين المرأة والرجل بوضوح.[2]

أمّا حول آثار الشاعر فبإمكاننا القول إن نزار قباني ترك لعشاق الشعر العربي حوالي الأربعين كتاباً وردت في آثاره الكاملة .[3]

- قالت لي السمراء ١٩٤٤
- طفولة نهد ١٩٤٨
- سامبا ١٩٤٩
- أنت لي ١٩٥٠
- قصائد ١٩٥٦
- حبيبتي ١٩٦١
- الرسم بالكلمات ١٩٦٦
- يوميات امرأة لا مبالية ١٩٦٨
- أشعار خارجة على قانون ١٩٧٢
- أحبك أحبك و البقية تأتي ١٩٧٨
- إلى بيروت الأنثى مع حبي ١٩٧٨
- مئة رسالة حب ١٩٧٠
- كل عام و أنت حبيبتي ١٩٧٨
- الأعمال السياسية ١٩٦٧
- لا ١٩٧٠
- أشهد أن لا إمرأة إلا أنت ١٩٧٩

---

١ قباني ، نزار : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٨٦٩

٢ الهواري ، صلاح الدين : المرأة في شعر نزار قباني ، ص ٨٢

٣ م . ن ، ص ٣٧

- قصائد متوحشة ١٩٧٠
- كتاب الحب ١٩٧٠
- الحب لا يقف على الضوء الأحمر ١٩٨٥
- سيبقى الحب سيدي ١٩٨٧
- الأوراق السرية لعاشق قرمطي ١٩٨٨
- قصائد مغضوب عليها ١٩٨٦
- تزوجتك أيتها الحرية ١٩٨٨
- الكبريت في يدي و دويلاتكم من ورق ١٩٨٩
- لا غالب إلا الحب ١٩٩٠
- هل تسمعين صهيل أحزاني ١٩٩١
- هوامش على الهوامش ١٩٩١
- هكذا أكتب تاريخ النساء ١٩٨١
- قصيدة بلقيس ١٩٨٢

الأعمال النثرية

- الشعر قنديل أخضر ١٩٦٣
- قصتي مع الشعر ١٩٧٠
- عن الشعر و الجنس و الثورة ١٩٧١
- المرأة في شعري و في حياتي ١٩٧٥
- ما هو الشعر ١٩٨١
- العصافير لا تطلب تأشيرة دخول ١٩٨٣
- جمهورية جنونستان (مسرحية) ١٩٨٨
- لعبت بإتقان و ها هي مفاتيحي ١٩٩٠

عمله الدبلوماسي و أسفاره

قبل أن نتكلم حول عمل نزا ر الدبلوماسي و رحلاته الدبلوماسية التي قد شملت العواصم المختلفة مثل القاهرة و أنقرة و لندن و مدريد و بيروت و ... علينا أن نقول إن شاعرنا هذا كان مغرفاً و عاشقاً بالسفر و الرحلة و يذكر كلمة السفر في كتاباته و أشعاره كثيرة يقول مثلاً في سيمفوني رائع له عن دمشق عنوانه « دمشق .. مهرجان الماء و ياسمين: «سافرت كثيراً حتى وصلت إلى حائط الصين العظيم » و الواقع أن نزاراً عاش أكثر حياته في السفر . يقول في فصلٍ عنوانه الرحيل من كتابه (قصتي مع الشعر) « و بقيت مأخوذاً بلعبة السفر عشرين عامّاً (١٩٥٤

– ١٩٦٦) إلى أن صار قلبي ملآن كحقيبة امرأة و كروياً كالأرض و مزدحماً كمدينة من مدن الصين »[١] و يتابع في مقطع آخر : « إذا فأنا ادين للرحيل بثلاثة أرباع شعري و إنني لأتساءل بعد ربع قرن الرسوّ و الإقلاع في موانئ الكرة الأرضية ، كيف تراها كانت ملامح شعري لو أنني بقيت مغروساً في تراب بلادي كوتد خيمة .. » [٢]

جاءت كلمة سفر في عدد من قصائده بمختلف دواوينه . يقول الشاعر في قصيدة له عنوانها « حب في حقيبة السفر» من ديوانه (هل تسمعين صهيل أحزاني) الصادر عام ١٩٩١ م :

أين أراك مرة ثانية ؟

هذا هو المأزق يا سيدتي

فإنني أسكن في حقيبة السفر

أنام في حقيبة السفر

أستقبل النساء في حقيبة السفر

و أنجب الأطفال في حديقة السفر [٣]

نزار في القاهرة

تخرج نزار سنة ١٩٤٥ من كلية الحقوق في جامعة دمشق ثم التحق بوزارة الخارجية السورية [٤] و انتقل في العام ذاته إلى القاهرة موظفا دبلوماسياً في السفارة السورية و كان عمره آنذاك ٢٢ عامّا و قضى منها ثلاث سنوات من أجمل سنوات عمره و كانت القاهرة في ذروة نضجها الثقافي و الصحافي و الإذاعي وكان نزار يحمل في جعبته ديوان شعر جديد اسمه خارج عن المألوف في عالم الكتاب و هو « طفولة نهد » و كانت صياغته الشعرية غير

١ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص٢٨٠

٢ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص٢٨٢

٣ قباني ، نزار : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١٩٢

٤ الهواري ، صلاح الدين : المرأة في شعر نزار قباني ، ص ١٥

مألوفة في ذلكالزمن « طفولة نهد كان نقلة حضارية هامة بالنسبة إلى شعري فلقد صقلت القاهرة أحاسيسي و عيني و لغتي الشعرية و حرّرتني من الغبار الصحراوي المتراكم فوق جلدي »[1].

في القاهرة أيضاً عقد نزار صداقات مع أدباء مصر و فنانيها الأعلام : توفيق الحكيم ، ابراهيم عبد القاهر المازني ، الموسيقار محمد عبد الوهاب ، الشاعر كامل الشناوي ، الشاعر ابراهيم ناجي ، الشاعر احمد رامي و الناقد و الأديب و الصحفي أنوار المعداوي .[2] و بمناسبة ظهور ديوان نزار « طفولة نهد » كتب المعداوي مقالة يقرظ فيها هذا الديوان ، فما كان من احمد حسن الزيات ، صاحب مجلة الرسالة إلا أن قلب الدال راء فأصبح اسم الديوان « طفولة نهر » و ذلك بدافع حرصه على عدم خدش وقار قرائه واحتشامهم غير مبالٍ باحتجاج المعدّاوي و نزار و عدد كبير من الأدباء و النقاد فقال نزار تعليقاً على هذا : « و بذلك أرضى (حسن الزيات) صديقه الناقد أنور المعدّاوي و أرضى قراء الرسالة المحافظين الذين تخيفهم كلمة النهد و تزلزل وقارهم .. و لكنه ذبح اسم كتابي الحميل من الوريد إلى الوريد[3]

نزار في لندن

انتقل نزار بعد إقامته القصيرة بدمشق إلى لندن حيث بقي ثلاث سنوات (١٩٥٢ – ١٩٥٥) و سمى هذه الإقامة بالمرحلة الرمادية و يقول في كتابه (قصتي مع الشعر) : « في لندن انسكبت السماوات الرمادية على أوراقي و دفاتري و توارت شموس الشرق خلف ستائر الضباب اللندني الكثيف . التجربة الانكليزية وضعتني في إطار حضاري و انساني كنت بأمس الحاجة إليه »[4]و يستمر في ذلك يقول « لقد منحتني لندن الطمأنينة الفكرية و غسلت أمطارها أعشابي الشرقية العطشى ، و أعطتني براريها المكشوفة و اللانهائية الخضرة أول دروس الحرية »[5] و كتب أفضل أعماله الشعرية و هو ديوان القصائد و يقصد نزار بأفضل أعماله الشعرية و أكثرها ارتباطاً بالإنسان في هذا الديوان قصيدتين هما « الخبز و حشيش و قمر » و « قصة راشيل شوارز نبرغ » .

---

١ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص٢٨٦

٢ م . ن

٣ م . ن ص ٢٨٧

٤ م . ن

٥ م . ن ،ص ٢٨٨

نزار في الصين

انتقل نزار إلى بكين و بقي فيها من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٠ . لم يكن نزار سعيداً في العمل بالصين و كان كل ما يحاصره باللون الأصفر : السماء صفراء و الحقول و الأشجار كلها مزوّدة بلون الأصفر « اللون الطاغي على المرحلة الصينية من حياتي هو اللون الأصفر . إن الأصفر لون عميق و هادئ و متحضر .. و من هذا الزواج بين اللون الأصفر و بين نفسي ، ولد طفل جميل اسمه الحزن » [١]

لقد ألهمته الصين أجمل قصائده عنوانه « نهر الأحزان » كما ألهمته قارة آسيا « ثلاث بطاقات من آسيا » [٢]

نزار في اسبانيا

ترك نزار قنصلاً إلى بلاد المجد المفقود اسبانيا و قضى فيها أربع سنوات من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٦ يقول نزار: « السفر إلى الأندلس في غابة من الدمع و ما من مرة ذهبت فيها إلى غرناطة و نزلت في (فندق الحمراء) الا و نامت معي دمشق على مخدتي الأندلسية . روائح الياسمين الدمشقي و عبير الأضاليا ، و النارنج ، و البرد البلدي كانت تشاركني غرفتي في الفندق ... » [٣]

و يتابع نزار حديثه حول اسبانيا : « في مدريد قضيت أربع سنوات و عدت أحمل على دفاتري قطعة من سماواتها و حرائق من عيونها و مدامع من عيون قيثاراتها ، و أساطير من بطولة ثيرانها ، و شراراً من أصابع راقصاتها و أنهاراً من أحزان مغنيها .. » [٤]

و الواقع أن نزار عاش في اسبانيا و من عاصمتها مدريد أجمل سنواته الدبلوماسية حتى لقد سمى مرحلتها ، المرحلة الوردية كما سبق له أن سمى إقامته بالقاهرة المرحلة الخضراء و بلندن المرحلة الرمادية و ببكين المرحلة الصفراء و ببيروت المرحلة السعيدة أو المرحلة الماسية و هذا الأخير سنتكلم حوله إن شاء الله .كل ما كتبه نزار

---

١ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص٢٩٥

٢ قباني ، نزار : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص١٩٠

٣ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص٢٨٩

٤ م . ن ، ص ٢٩٠

يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعشق خصوصاً أشعاره بدمشق و الأندلس و في مدة قضاءه بالأندلس طبع ديوانه (الرسم بالكلمات) الذي كلها تتسم بالإبداع و صدق العاطفة .

نزار في لبنان

ترك نزار في نيسان ١٩٦٦ برشلونة إلى بيروت و اعتبرت هذه الرحلة من الرحلات الدبلوماسية الاخيرة . أحب نزار لبنان كثيراً و كما قال إنّ صلته بلبنان ليست صلة طارئة ترد في كتابه (الاعمال النثرية الكاملة) : « قلت إن صلتي بلبنان ليست صلة طارئة فلقد اشتبكت بلبنان وجودياً و ثقافياً و شعرياً منذ طفولتي الأولى ، حيث كان أبي يجيء إلى بيروت لنقضي عطلتنا الصيفية على رمال شاطئ الاوزاعي أو على ضفاف نهر البردوني بزحلة » [١]

كما رأينا انتقل نزار إلى العمل في عدة عواصم بعد القاهرة ، منها : لندن و مدريد و بكين و بيروت و فضلاً عن هذه العواصم المذكورة نقل نزار إلى العواصم الأخرى مثل أنقرة ، و لكن مؤرخي سيرة نزار لا يملكون أية معلومات عن إقامته هناك و هو لم يذكر في كتاباته عن عواصم العالم أى شيء يتعلق بالعاصمة التركية . أمّا مع هذا كله ظل نزار يعمل في الخارجية السورية اكثر من ٢٠ عامّاً ، حتى استقال منها عام ١٩٦٦ و أسس داراً للنشر باسمه في بيروت ، متغرفاً بذلك لقراره الوحيد و هو الشعر.[٢]

---

١ قباني ، نزار : الأعمال النثرية الكاملة ، ص٢٩٨

٢ العرود ، على احمد محمد : جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث ، ص ١٣